القصص

قصة المفاتيح

للقصصي الروسي مكسيم جوركي

Maxim Gorki

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وكان زيومكا أثناء ذلك ، وهو الملحد الحقيق ، يتثاءب عالياً ، فنظر اليه صديقه نظرة احتقار ثم أطرق برأسه ؛ وحدقت العجوز بنظرها في زيومكا دون أن تمسك عن القراءة ، فجعل من ذلك ومسح أنفه وأدار عينيه ليرى نتيجة تثاؤبه فلم تكن إلا تأوهاً خاشعاً

ومضت دقائق هادئة إذ كان لصوت القارئة المرتل أثر في الطمأنينة :

« إن غضب الرب ينزل من السماء على كل عبد ربانى .. و .. »

وصرخت القارئة فجأة في وجه زيومكا : « أتريد . . . ؟ »

فأجاب في استكانة : « أنا . . . أنا . . . لا شيء ! تابعي القراءة ؛ إنني أستمع »

فسألته العجوز غضبي : « لماذا تلمس القفل بيديك القذرتين ؟ »

— « إنه ليهمني . . . إن صنعه جميل جداً . . . إنني أفهمه ، كنت قبلاً صانع مفاتيح ، وأردت أن أجسه . . . »

وقالت العجوز : « انتبهوا ، ماذا قرأت لكم ؟ »

وقال زيومكا : « إنني أستطيع أن أعيده . . . إنني أفهم »

وقالت العجوز : والآن ؟

— « لقد كنت ترتابين تعاليم الدين ، وتذكرين عدم الايمان بالرب . المسألة غاية في البساطة ، فكل شيء من ذلك حقيق . لقد كان ذلك يحز في قلبي . »

ونظرت العجوز الينا وهزت رأسها وقالت :

« انكم مفقودون . . . كالحجارة . . . ارجعوا ثانية إلى عملكم »

وقال ميشكا وعلى ثغه ابتسامة المعترف بذنبه : « يظهر أنها غضبي »

وحك زيومكا رأسه وتثاءب والتفت إلى العجوز دون أن يراها وسار في طريقه وأطرق مفكراً : « إن قفل الكتاب من الفضة » وسرت في وجهه قشعريرة

وقضينا الليل في الحديقة إلى جانب أنقاض الحمام الذي هدمناه عن آخره في ذلك اليوم . وفي ظهر اليوم التالي أتممنا تنظيف النافورة ، وقد ازدادت قذارتنا وتبللنا بالماء ، وانتظرنا أمام باب المنزل في انتظار أجرنا ، وكنا نتحدث عن غذاء وعشاء دسمين نتناولهما قريباً ؛ ولم يكن لواحد منا أي رغبة في الحديث عن شيء غير ذلك

وفرغ صبر زيومكا وقال بصوت أجش . والآن أين استقرت يا ترى هذه الفول الشمطاء ؟ لقد هلكت !

وقال ميشكا وقد هز رأسه معاتباً صديقه :

تسأل الفجر أين طالعك اليو م وأين السبيل في الابكار
تسأل الليل هل أصاخ لنجوا ك حنيناً إلى ربوع الديار

هذه مصر فانزل الدار أهلا ناعماً في القلوب والأبصار
وأولاء الشباب حولك في مص ر يحيون أوبة الطيار
طار سرب منهم يخف إلى الغ دى ويهدي إليه إكليل غار
وسرى في ركابه يتهدى في جلال العلا وعز الفخار
وجرى السيل بين شطين يختا ل خلال النخيل والأشجار
وأبو الهول في الفلا كاد يفنى ثم يرنو إليه بالأنظار

مشهد يبعث السمو إلى النف س ويدعو إلى الأماني الكبار
فانهضوا أمة تتوق إلى المج د وتبغي منازل الأحرار

أحمد رامي

« لقد بدأ يسب من جديد . ولماذا يسب يا ترى ؟ هذه العجوز امرأة طيبة تخاف الله ، وهو يسبها — هذا هو خلق الرجال ! »

وابتسم زيومكا وقال له إنه شديد الحساسية نحو ذلك الطائر الشارد ، تلك العجوز . . . هذه . . .

وقضى ظهور العجوز على هذا الحديث الطريف . وتقدمت الينا وأخرجت النقود وقالت فى احتقار : « ها هى ذى نقودكم فخذوها وارحلوا من هنا . كنت أريد أن أعطيكم أخشاب الحمام فتقطعوها قطعا صغيرة ، ولكنكم لستم أهلا لذلك »

وأخذنا نقودنا صامتين وذهبنا ولم نحظ بشرف تقطيع أخشاب الحمام الى قطع صغيرة للوقود

وقال زيومكا وقد خرجنا من باب الحديقة : أيها البشع العتيق أنظر الى هذه ! ألا أستحقها يا قبيح الوجه ؟ الآن يمكنك أن تسبح باسم ذلك الكتاب

وأدخل يمينه فى جيبه وأخرجها بقطعتين من المعدن اللامع وأرانا إياهما كمن كتب له النصر

وجمد ميشكا فى موقفه ، واشرأب عنقه ليرى ما فى يدى زيومكا . وسأله حائراً : « هل خلعت القفل ؟ »

— « هذا ما فعلته ! إنه من الفضة الجيدة . ويمكن لأى انسان أن يحتاج اليها . وهى تساوى على الأقل روبلا »

— « هيه ، وما دمت قد فعلت ذلك فارمها بعيداً عنى ! يا للخجل ! »

— « سأفعل ذلك »

وتابعنا السير فى صمت . وقال ميشكا مفكرا فى الأمر . تمت بمهارة ، انتزعها ببساطة . ثم قال : « نعم لقد كان كتابا جميلا وستحقد العجوز علينا »

وقال زيومكا هازئاً : « إنها لن تسترجعنا مرة أخرى لتقدم لنا ثناءها »

— « وبكم تبيعها ؟ »

— « بتسعة أعشار الروبل — هذا أقل ثمن ، لا أقل من ذلك فلسا . إننى أخسر فيها . أنظر لقد انقصف لى ظفر »

وقال ميشكا فى خجل : « بعنى إياها »

— « أإياك أبيعها ؟ أتريد أن تجعل منها أزراراً لقميصك ؟ أنظر : إنها تكفى لعمل زوج جميل من الأزرار — وهى تليق بك على ثيابك الخلقة »

ثم أخذ ميشكا يستعطفه : « كلا إننى جاد غير هازل . بعنى إياها

— « اشترها ، كم تدفع ؟ »

— « خذ ما تشاء ، ما هو القدر الذى أحصل عليه من شركتى فى العمل ؟ »

— « روبل واحد وعشرون كوبكا »

— « وكم تريد أن تأخذ فيها ؟ »

— « يا مغفل ! ماذا تريد أن تفعل بها ؟ »

— « بعنى إياها . أرجو ذلك »

وانتهت عملية البيع فى النهاية ، وأصبح القفل ملكا لميشكا بعد أن دفع تسعين كوبكا

ووقف ميشكا فى مكانه وقلب القطعتين فى يده وحدق فيهما . ونصحه زيومكا هازئاً بأن قال : « علقهما فى أنفك ! »

وأجاب ميشكا جادا : « ولم ذلك ؟ إننى لا أريدهما . سأرجعهما الى العجوز وأقول لها : هاك يا سيدتى العزيزة المحترمة . لقد أخذناها سهوا معنا ، فارجعيهما الى ما كانا عليه

— ولكنك انتزعتهما فكيف إصلاحهما ؟ »

وسأله زيومكا وقد فتح فاه : « أتريد حقاً أن تحملهما اليها يا شيطان ؟ »

— « نعم ولم لا ؟ أنظر إن مثل هذا الكتاب يجب أن يبقى كما هو . ولا يجوز للانسان أن ينزع منه قطعة . وسوف تغضب العجوز وتحزن . . . وسوف تموت عما قريب . هذا ما أردت . فانتظر لحظة يا أخى فسأعود سريعاً »

وقبل أن نتمكن من إيقافه اختفى وانعطف بخطوات سريعة

وقال زيومكا فى غضب وهو يفكر فى أثر هذه الواقعة ونتائجها المحتملة : « ما أضعف هذا الرجل وما أكثر تفغيله ؟ »

ثم أخذ يؤكد لى فى كل جملة خطأه

ولـكن الآن انتهى كل شيء . لقد أوقعنا فى الشرك . ولعله الآن جالس متكىء أمام العجوز . وقد لا يغيب عنها أن تستنجد بالشرطة »

« هـذا مثل مما يتوقعه الانسان من مصاحبة هذا الوغد . إنه حقا يدخل الشخص إلى السجن من أجل شيء تافه . هـذا الكلب ! هل رأيت رجلاً له مثل هذه النفس الدنيئة ، يبغى أن يُلقى بأصدقائه إلى التهلكة ، يا إلـهى ! أهذا هو جيل اليوم ؟ هيا بنا ، لم هذا الانتظار ؟ أتريد أن تبقى هنا ؟ انتظر إن شئت ، ليخطفك عفريت من الجن أنت وكل الأوغاد من أمثالك . ذلك الوغد ! ألا تريد أن تذهب معى ؟ هيا »

ووكزنى زيومكا فى جانبى وسبقنى ومضى لسبيله

وكنت أريد أن أعرف ماذا جرى لميشكا عند صاحبة آخر عمل قمنـا به . فذهبت ثانية إلى ذلك المنزل ، وكنت أعتقد أن لا خطر فى ذلك ، وأن السوء لا يمسنى من جراء هذا . ولم يخب ظنى ، ووصلت المنزل وأخذت أنظر من خلال الحواجز وقد رأيت وسمعت ما يلى :

كانت العجوز جالسة على سلم المنزل ممسكة بقطعتى القفل الفضي بيدها وهى تنظر إلى ميشكا من خلال منظارها بدقة كما لو كانت تريد أن تتغلغل فى صميمه . وكان لعينيها الحادتين بريق قوى . وقد ارتسمت على طرف فمها ابتسامة خفيفة رخوة تحاول اخفاءها : هى ابتسامة المنفرة

وتبين من خلف العجوز ثلاثة رؤوس : امرأتان إحداهما شديدة حمرة الوجه وعلى رأسها منديل زاهى الألوان ، والثانية عوراء ، وقد وقفت خلف رجل عريض المنكبين وأمارات وجهه تدل على أنه يريد أن يقول :

« أسرع من هنا يا صديقى ! أسرع بقدر ما يمكن »

وكان ميشكا يتحدث فى ارتباك :

« لقد كان كتاباً عظيما ! ! إنهما نذلان ! أما أنا فقد كنت أذكر ربى . هذا هو الحق . وهـذا ما يجب قوله . إننا نساء ورجال سوء أنذال — ثم كنت أعود فأفكر فى المرأة العجوز الطاعنة فى السن . ولربما كان سرورها الوحيد فى كتابها هذا — ذلك ما ظننته . وأردت أن أهيء للعجوز التعيسة سروراً وأن أرد اليها أشياءها : وقد اكتسبنا بحمد الله شيئاً نفقات به . فالوداع يا إخوتى . إننى أريد الذهاب الآن »

واستوقفته العجوز وقالت له : « انتظر ! هل عرفت ماقرأته لك البارحة ؟ »

« أنا ؟ أنّى لى ذلك ؟ إننى استمعت اليك ولـكن أى استماع ؟ فهل لآذاننا قدرة على استماع كلام الرب ؟ إننا لا نفهم مثل ذلك . »

وقالت العجوز : « أهكذا ؟ ألا تنتظر لحظة أخرى ؟ »

وتململ ميشكا وأخذ كالدب يضرب الأرض برجليه . فان مثل هذا الحديث لا طاقة له به

— « هل لى أن أقرأ لك شيئاً قليلاً ؟ »

— « ..... ولـكن صديقىّ ينتظران . »

— « دعهما ينتظران ، إنك رجل طيب . دعهما يسيران حيث شاءا . » وقال ميشكا بصوت خافت : « حسناً . »

— « إنك لن تسير معهما بعد الآن ؟ أليس كذلك ؟ »

— « لا . »

— « هذا هو الصواب . إنك طفل كبير على رغم ما لك من لحية تنزل إلى وسطك ! هل أنت متزوج »

— « بل أعزب . إن زوجتى توفيت . »

— « ولم تشرب الخمر ؟ إنك تشرب طبعاً ؟ »

— « نعم . »

— « ولـماذا ؟ »

قال ميشكا متضجراً : « ولماذا أشرب الخمر ؟ لتغفيل . إننى مغفل ولهذا أشرب . ولو كان للانسان عقل لما جرؤ على تحطيم نفسه بيده . »

— « إنك على حق . » فاعمل على أن تكون عاقلاً . حسن من سيرتك وأصلح من أمورك . اذهب إلى الكنيسة واستمع إلى كلام الرب ففيه كل الحكمة . »

وتأوه ميشكا وقال : « سأفعل »

— « هل لى أن أقرأ لك شيئاً ؟ »

— « نعم ، تفضلى »

وأنت العجوز بالانجيل ، وقلبت صفحاته ، وبدأ صوت

يدوى ، ورمى ميشكا برأسه الى الوراء ، وحك بيده ذراعه اليسرى

« وهل تظن أيها الانسان أن فى وسعك التهرب من حكم الرب ؟ »

وقاطعها ميشكا وكأنه يجهش بالبكاء : « سيدتى المحترمة ، دعينى أذهب ، أرجو ذلك محبة فى الله ، سآتى مرة أخرى عن طيب خاطر وأستمع . أما الآن فانى جائع جدا . إننا لم نتبلغ منذ أمس

ودقت العجوز صدرها ، وقالت : « اذهب ! ابتعد ! » ورن صوتها المزعج فى الفضاء ، واندفع ميشكا مسرعا نحو الباب بعد أن قال لها :

« أشكرك شكرا جزيلاً أيضا »

وتمتمت العجوز تقول : أرواح مغلقة ! قلوب غلف كالحجارة !

* * *

وبعد نصف ساعة جلسنا فى المطعم ، وشربنا الشاى وأكلنا الخبز الأبيض ، وقال ميشكا وهو يبتسم إلىّ بعينه التى تشبه عيون الأطفال سذاجة وفرحا : « كنت أشعر كأن حمى قد انسابت فى جسمى ، وقد وقفت هنالك وفكرت فى القول : أى ربى لم جئت إلى هنا ؟ إنه العذاب ! وبدأت هى الحديث : هل هؤلاء آدميون ! اننا نريد أن نكون شرفاء معهم ونهيئ لهم ما توحى به ضمائرنا ، إلا أنهم يفكرون فى غير ذلك : يفكرون فى متاعهم . فقلت لها : يا سيدتى المحترمة ، هذا هو قفلك أرده اليك ولا تغضبى ... ولكنها قالت : انتظر ، ابق هنا ، أذكر لى أولاً لم أحضرته ؟ وبدأت تخزنى بكلماتها ، ولقد سئمت كثرة أسئلتها ... هذه هى الحقيقة »

وتابع الابتسام الهادئ المريح

واهتاج زيومكا وقال له جادا :

« أولى لك ياصديقى أن تموت ! وإلا التهمك فى الند الذباب من فرط سخف أفكارك »

— « إنك تتحدث بغباء دائماً . تعال ، نريد أن نشرب كأساً لنسدل على المسألة الستار » . وشربنا كأساً على نهاية هذه الحادثة العجيبة

من الالمانية

ا . ا . ى

دراما من اسخيلوس

سبعة ضـــد طيبة

(الدراما الثالثة الباقية من مأساة أوديب)

للأستاذ دريني خشبة

خلاصة الدراميتين المفقودتين : ولد الملك طيبة الملك لايوس طفل جبل قالت النبوءة إنه إن عاش فسيقتل أباه ويتزوج أمه ويجر البلاء على شعبه فأرسله الملك مع واحد من خدمه ليقتله ويتخلص بهذا من شره ، ولكن الخادم خشى عقاب السماء إذا قتل الطفل فعلقه من عقبيه فى شجرة وعاد إلى المدينة . ومر راعى غنم بذلك المكان فأخذه الطفل فأخذه وذهب به إلى ملك كورنثه الذى فرح به لعقم زوجته وجعله ولياً لعهده وسماه أوديبوس (أى ذا القدمين المتورمتين) . وكبر أوديب وأقيمت حفلة راقصة فى القصر وثمل المدعوون وحدث أن أحدهم اصطدم فى نشوة السكر بأوديب فلمزه فى أصله وأنه ليس ابن ملك كورنثه ، فثار أوديب وأظلمت الدنيا فى عينيه وترك من توه قصر الملك وهام على وجهه فى البلاد باحثاً عن والديه الحقيقيين . ولقى ركباً ملكياً فى طريقه إلى دلفى فأمره القائد أن ينحى ناحية حتى يمر الموكب ولكنه أبى والتحم مع الجماعة فى معركة فقتلهم جميعاً وفيهم ملك طيبة — وبذلك تحقق شطر النبوءة الأول لأنه قتل أباه — ثم سار إلى أن بلغ طيبة فوجد قومها فى حيرة من مقتل الملك ومن هولة بحرية فتكت بأهل المدينة لأنهم لم يستطيعوا تفسير حجاجها ، وسمع أوديب أن مجلس المدينة قرر أن من يخلص الناس من هذه الهولة فانه يصبح ملكا عليهم ويتزوج الملكة الأرمل ، فذهب من فوره فلقيها وحل حجاجها وقتلها وصار ملكا على طيبة وتزوج الملكة التى هى أمه وهو لا يعلم — وبذلك تحقق شطر النبوءة الثانى — وحدث وباء فى طيبة فتك بأهلها فتكا ذريعاً وقالت النبوءة إن الوباء لا يرتفع عن طيبة حتى يقتل قاتل الملك لايوس ... وأمر الملك بتحقيق مقتل سلفه فثبت عنده أنه هو القاتل وأنه ابن لايوس هذا وأنه تزوج أمه ونسل منها ولدين وفتاتين فجن جنونه وسمل عينيه وهام على وجهه إلى الغابة لتقتله وبات الدهر جزاء له ... أما ابناه فقد اعتليا على العرش واستعبدا أكبرهما بالأرجيف أعداء طيبة فثار الشعب عليه . . . وفى المعركة التى الاخوان فقتل أحدهما الآخر وبذلك تحقق الشطر الأخير من النبوءة ...

— ١ —

اختلف الاخوان ، إتيوكليس ، وبولينيسيز ، بعد مقتل أبيهما من اجل العرش ، ثم اتفقا على أن يحكم كل منهما سنة ، واتفقا على أن يحكم إتيوكليس ، الأخ الأكبر[1] قبل أخيه . فلما حال

(١) هكذا فى إسخيلوس ، أما سوفوكليس فيجعل بولينيز الابن البكر لأوديبوس